عنوان المحاضرة : **البنية الزمنية**

تمهيد:

الزمن محور هام، ضروري في الحياة، به يسير الكون، وتنتظم الظواهر، غيابه يعني لاحاضر لا ماضي، لا مستقبل، يستحيل أن يفلت كائن ما أو شيء ما أو فعل ما أو تفكير ما أو حركة ما من تسلّط الزمنية[1].

إنّ الزمن مصاحب للتحوّل والصيرورة، شديد التعقيد، كثير التنوع، سريع التغيير، لذا يصعب تحديد ماهيته، ولأنّه مرتبط بجميع الكون والحياة والوجود والعدم والميلاد والموت والثبات والحركة والحضور والغياب والزوال والديمومة[2]. فقد وجد في النحو والفلسفة والرياضيات وعلم النفس والأدب وهلمّ جرا. لذلك حظي باهتمامات من العلماء والباحثين في مجالات وميادين مختلفة،وكل مجال يتكئ على مرجعيات وأسس في تعريفه، فكيف عرّفوا الزمن؟ وما المقصود بالزمن في الرواية؟

1- الزمن لغة:

من مدلولات الزمن اللغوية مايلي:

-" الزمن والزمان: اسم لقليل الوقت وكثيره(...) الدهر والزمان واحد(...) الزمان يقع على جميع الدهر وبعضه"[3].(لسان العرب)

-" الزمن هو أصل يدلّ على وقت من الوقت ، والزمان هو الحين قليله وكثيره، ويقال زمن والجمع أزمان و أزمنة"[4](مقاييس اللغة)

-" الزمان : الوقت قليله وكثيره، ويقال السنة أربعة أزمنة، أقسام وفصول(...) والمتزامنان كحركتان دوريتان تتفقان في زمن الدبدبة والطور"[5]. (المعجم الوسيط)

من خلال هذه التعريفات، نلاحظ التشابه في نفس المعاني، حيث تقابل " الزمن" ألفاظ **الوقت** إما كاملا أو بعضه ، **الحدث** أو **الدهر.**

2- الزمن اصطلاحا:

اختلف الباحثون في تعريف في تحديد مفهوم الزمن، كونه " مجرّد خيوط وهمية، نتحسّسها ولا نستطيع الإمساك بها"[6]. فقد نلمسه فيما نرى ، دون أن نراه رؤيتنا الشيء المادي المحسوس، أي فيما يقع عليه وفيما يحيله إلى شيء غير نفسه، لا في الزمن نفسه[7].

والزمن أيضا هو " ما لايدرك بوجه صريح في نفسه، ولكنّه يدرك فيما يحيط بنا من أشياء، فإدراكه يتوقّف على علاقة خارجية، تظاهر على الإحساس به على نحو ما"[8].

لا يوجد عند البنيويين" إلاّ في شكل نسق أو نظام، والزمن السردي هو زمن دلالي/وظيفي، بينما الزمن الحقيقي هو زمن مرجعي، واقعي فحسب"[9]. ما يعني أنّ الزمن مظهر من مظاهر البناء في العمل الأدبي.ومكوّن هام في مكونات الخطاب الأدبي، ضروري في تصميم الشخصيات وبناء هيكلها وتشكيل مادتها وأحداثها.

ويعدّ الزمن الأدبي شديد الاعتياص، نتجاوز به التسلطات الزمنية الصريحة التي تصادفنا في السرديات إلى زمن نلتمسه في النص الأدبي انطلاقا من عطاء اللغة الدلالي، وهو عطاء سخي، لنتدرّج به من بعد ذلك إلى الزمن الخلفي الناشئ عن ذكر قرينة زمنية معيّنة[10]. أي الخروج من زمن التاريخانية إلى زمن الإبداع.

3- الزمن في الخطاب السردي عند جيرار جينات:

نظرا لأهمية الزمن في الخطاب السردي، فقد قدّم ج/ جينات في كتابه " خطاب الحكاية" طريقة لتحليل الخطاب السردي، تقوم على الاستفادة من اللسانيات مباشرة، وجهود سابقيه ممن اهتموا الخطاب السردي، فوضع في بداية الأمر فروقا بين القصة و الحكي والسرد هي[11]:

القصة: هي المضمون السردي، المدلول، المادة الحكائية التي تحتوي على مجموعة من الأحداث والوقائع المترابطة.

الحكي: هو الدال أو الملفوظ أو المنطوق أو الخطاب أو النص السردي ذاته.

السرد: هو الفعل السردي المنتج وبالتوسع على مجموع الوضع الحقيقي أو التخييلي، الذي يحدث في ذلك الفعل.

كما يرى أنّ القصة والسرد لا يوجدان إلاّ بواسطة الحكي أي الملفوظ أو الخطاب[12].

ويختلف زمن القصة عن زمن الحكي، فـ**زمن القصة** هو زمن المادة الحكائية قبل تشكيلها الفني، و الزمن الذي تستغرقه الأحداث" فبإمكاننا الحصول عليه من خلال التأريخ للأحداث أوّلا، والمدّة التي شغلتها الأحداث ثانيا،وأخيرا من خلال المدّة التي يتصرّف فيها الكاتب بحرية من خلال إدراج خطابات مطوّلة من مدّة زمنية قصيرة جدّا ، أو تمديد كلمات موجزة أو أحداث سريعة إلى فترات طويلة"[13]. ويكون الزمن هنا زمن خطي تابع لترتيب محكم.

أمّا **زمن الحكي** (الخطاب) فهو" الوقت الضروري لقراءة العمل أو مدّة عرضه"[14]. والزمن الذي دخل في إطار التشكيل الروائي وخضع لتقنيات، و لا يتقيّد بالتتابع المنطقي.

ويختلف أيضا **زمن الكتابة** عن **زمن القراءة**، فإذا كان الأوّل هو العصر الذي كتبت فيه الرواية مثلا أو الفترة التي أنجز فيها المؤلف خطابه الروائي، فالزمن الثاني(القراءة) هو الذي نقرأ فيه الإنتاج السردي، ويصبح زمن الكتابة عنصرا أدبيا بمجرّد دخوله القصة، أو حين يتحدّث الراوي، أمّا زمن القراءة فليس كذلك إلّا حين يكون الكاتب قاصا، وتعيد القراءة ترتيب زمن القصة غير المرتّب بعملية تدعى(زمن النص)، الذي يحتوي على زمن الروائي وزمن المتلقي معا[15].

4- <u>المفارقات الزمنية:</u>

ليس من الضروري من وجهة نظر البنائية أن يتطابق تتابع الأحداث في رواية ما أو قصّة ما، مع الترتيب الطبيعي لأحداثها، فالتطابق بين زمن السرد وزمن القصة لانجد له مثالا إلاّ في بعض الحكايات العجيبة القصيرة[16]. وعندما لايتطابق نظام زمن القصة مع نظام الحكي، فإنّنا نقول أنّ الراوي يولّد مفارقات سردية.

<u>1/4: محور النظام</u>: وندرس فيه الاسترجاع والاستباق

أ/ الاسترجاع:

ويسمى أيضا ب" الاستذكار"، من التقنيات الزمنية السردية الحاضرة في الخطاب الروائي، يعتبر" ذاكرة النص، ومن خلاله يتحايل الراوي على تسلسل الزمن السردي، إذ ينقطع زمن السرد الحاضر ويستدعي الماضي"[17]. فإذا كان الاسترجاع داخل القصة سمي استرجاعا داخليا و إذا كان خارجها سمي " خارجيا".

هذه الظاهرة كانت موجودة في الملاحم القديمة، وتطوّرت في الفنون السردية، وانتقلت إلى الرواية الحديثة، وأصبح من أهم العناصر الأساسية للكتابة الروائية[18].

وتكمن أهمية الاسترجاع في سد كثير من الثغرات وملء الفراغ والتذكير بإطار الرواية وبالأحداث الماضية، للتركيز على نقطة مهمة في العمل السردي، إضافة إلى كسر رتابة السرد واستمرارية تفسير الأحداث الراهنة.

ب/ الاستباق:

ويسمى أيضا بالاستشراف، يعرف بأنّه عملية استباق الأحداث، أي سرد حادثة أو جزء منها بعد الزمن الذي يصل إليه السارد، ثم العودة ومواصلة السرد. لكن إذا لم يعد السارد لمواصلة الحكي سمي ذلك حذفا . والاستباق أيضا نوعان الداخلي والخارجي(داخل القصة وخارجها).

يهدف الاستباق إلى سدّ ثغرة لاحقة في السرد، والتطلّع إلى ما سيحدث من مستجدّات في الخطاب السردي، ناهيك عن إثارة عنصر التشويق في المتلقي ليتابع ما تبقى من أحداث.

2/4: المدّة الزمنية (الاستغراق الزمني):

ويدرس فيه أشكال الحركات السردية المجمل والوقفة والحذف والمشهد، ويقصد بها التفاوت النسبي بين زمن القصة وزمن السرد، أي الوتيرة السريعة أو البطيئة، التي يتخذها السارد في مباشرة الأحداث، وذلك عبر مظهرين أساسيين، إمّا بتسريع السرد الذي يشمل المجمل والحذف، أو بتعطيل السرد وإبطائه بالوقفة والمشهد.

أ/ المجمل:(زمن القصة< زمن الحكي)

ويسمّى بـ" الموجز"،" الخلاصة"، " الإيجاز"، يقصد به سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات عديدة أو أشهر أو ساعات، واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات موجزة دون تفصيل[19]. ويكون بذلك زمن القصة أكبر من زمن الحكي، وتجدر الإشارة هنا أنّ المجمل لا يقع على أحداث الماضي فقط، بل الحاضر ومستجدّاته وكذلك المستقبل على سبيل الاستشراف.

ب/ الحذف:(زمن الحكي= 0)

ويسمى " القطع"، " الإضمار"، "الإسقاط"، وهو تقنية زمنية يعني حذف فترة زمنية من القصة طويلة أو قصيرة، والتغاضي عنها، مثل : مرّت سنتان، انقضى زمن طويل وعاد البطل من غيبته، فيكون الحذف إمّا محدّدا أو غير محدّد.وهو وسيلة لتسريع وتيرة السرد، بإغفال بعض الأحداث غير الأساسية. ويكون زمن الحكي غير موجود.

ويختلف الحذف في الروايات الحديثة عن الروايات التقليدية، فإذا كانت هذه الأخيرة تستخدم الحذف المصرّح به، فإن الروايات الحديثة تستخدم الحذف الضمني، الذي لايصرّح به الراوي، وإنّما يدركه القارئ فقط بمقارنة الأحداث بقرائن الحكي. إضافة إلى ذلك فإنّ الحذف في الرواية المعاصرة يسمح بإلغاء التفاصيل الجزئية، فيحقق مظهر السرعة في عرض الوقائع، في الوقت الذي كانت الرواية الواقعية تتصف بالتباطؤ [20] .

ج/ الوقفة:(زمن القصة< زمن الحكي)

وتسمى بـــ" الاستراحة"، وتحدث عندما يلجأ السارد إلى الوصف في بعض الحالات، فتتوقف الأحداث و السيرورة الزمنية وتتعطّل حركة السرد.

لكن، ليس بالضرورة أن يكون كلّ وصف هو وقفة، لأنّه حتى الأحداث في بعض الأحيان يقوم السارد بوصفها، فكل وصف إذا لا يتطلّب بالضرورة توقف السرد.

د/ المشهد:

يقصد به " المقطع الحواري"، حيث يغيب الراوي ، ويصير الكلام بين صوتين، يأتي في كثير من الروايات في تضاعيف السرد، تمثّل بشكل عام اللحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة من حيث مدّة استغراق المشهد في السرد.

وعلى العموم، فإنّ المشهد في السرد هو أقرب المقاطع الروائية إلى التطابق مع الحوار في القصة، بحيث يصعب علينا بأن نصفه بطيء أو سريع أو متوقف[21].

5- التواتر السردي (التكرار):

اختلف النقاد في التواتر السردي إذا كان مقولة زمنية أم أسلوبية، وقد عدّه جيرار جينات مظهرا من مظاهر الزمنية السردية، إضافة إلى كونه مظهرا لغويا مشهورا، فقال:

" لم يدرس نقّاد الرواية ومنظروها ما أسميه تواترا سرديا، أي علاقات التواتر(أو بعبارة أكثر بساطة علاقات التكرار) بين القصة والحكاية، لم يدرسوه إلّا قليلا حتى الآن، ومع ذلك فهو مظهر من المظاهر الأساسية، الزمنية، السردية، وهو من ناحية أخرى أمر مشهور لدى النحاة"[22].

فيرى أنّ الحدث لايقع فحسب، بل يمكن أن يقع مرّة أخرى ويتكرّر، كما توجد أحداث متطابقة، أو اجترار للحدث الواحد على سلسلة من عدّة أحداث، متشابهة ومنظور إليها من حيث تشابهها وحده، وقد فصل في علاقات التواتر وفق أربعة(4) محاور هي[23]:

- **أن يروى مرّة واحدة ما وقع مرّة واحدة:** نحو "أ مس، نمت باكرا"، حيث يتوافق المنطوق السردي مع الحدث المسرود. ويقترح ج/جينات هنا تسمية هذا النوع من الحكي بـ" الحكاية التفرّدية".
- **أن يروى مرّات لامتناهية ما وقع مرّات لامتناهية:** مثل "نمت باكرا يوم الاثنين، نمت باكرا يوم الثلاثاء، نمت باكرا يوم الأربعاء...إلخ.
- **أن يروى مرّات لامتناهية، ماوقع مرّة واحدة:** نحو " أمس نمت باكرا، أمس منت باكرا، أمس نمت باكرا. يبدو هذا الشكل افتراضيا، ووليدا ناقصا للذهن التأليفي، وغير ذي ملاءمة أدبية. ومع ذلك هناك بعض النصوص الحديثة ترتكز على قدرة الحكاية على التكرار.

- **<u>أن يروى مرّة واحدة ما وقع مرّات لانهائية:</u>** نحو " كل يوم أستيقظ باكرا" أو " الأسبوع كلّه أستيقظ باكرا".ويسمي ج/ جينات هذا النوع بالحكاية التردّدية.
- **<u>المراجع:</u>**

---

[1] ينظر، عبد المالك مرتاض، أي – دراسة سيميائية لقصيدة أين ليلى لمحمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط،1992،ص121.

[2] مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، لبنان، ط1، 2004 ص11.

[3] ابن منظور: لسان العرب، مادة (ز م ن)

[4] ابن فارس: مقاييس اللغة ،مادة (ز م ن)

[5] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة (ز م ن)

[6] عبد المالك مرتاض: الأدب الجزائري القديم- دراسة في الجذور-،دار هومة، الجزائر،ط2016،4 ، ص158.

[7] المرجع نفسه، ص158.

[8] ينظر,مها حسن القصراوي: مرجع سابق، ص12.

[9] محمد عزام: شعرية الخطاب السردي،منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا،دط، 2005، ص106.

[10] عبد المالك مرتاض: الأدب الجزائري القديم، ص158

[11] ينظر، جيرار جينات: خطاب الحكاية، تر: عبد الجليل الأزدي وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، ط2 ،1997، 37-42.

[12] المرجع نفسه، ص40.

[13] سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي- الزمن، السرد، التبئير-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط4، 2005،ص70.

[14] المرجع نفسه، ص70.

[15] محمد عزام: مرجع سابق،ص107.

[16] حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي،المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1991،1،ص73.

[17] مها حسن القصراوي: مرجع سابق، ص193.

[18] المرجع نفسه، ص192.

[19] حميد لحمداني، مرجع سابق،ص76.

[20] المرجع نفسه، ص77.

[21] المرجع نفسه،ص78.

[22] جيرار جينات، خطاب الحكاية، مرجع سابق، ص 129.

[23] ينظر، المرجع نفسه، ص 129، 132.